لقد ادرك نصار ان لبريطانيا مصلحة من قيام الوطن القومي، وهذا يعني انه من المحال تغيير موقفها، اذ «لم يكن احتلال البريطانيين فلسطين وسلخ هذا الجزء الجنوبي من سورية، تحت ستار الوطن القومي الاسرائيلي، الا لتناول الشطّ الآسيوي من القناة وادخاله تحت السيطرة الانكليزية»(٣٥).

وعلى صعيد آخر، ينتقد نصار بمرارة السياسة الهاشمية الموالية للانكليز وقد تحدروا بالشريف، ويأخذ على الهاشميين، خاصة الامير عبدالله، التقرب من اليهود، ويطلب منهم تبديل سياستهم، «فالوقت لم يفت بعد، وما عل يامراء هذا البيت، وخصوصاً الامير عبدالله، الا ان يبدلوا سياستهم القديمة، سياسة التماس القوة من اليهود، وسياسة الترقيع، بسياسة عربية صريحة»(٣٦). ويعود مجدداً لدعوة الامير عبدالله ليعود الى رشده، اذ «لا تزال الفرصة سانحة للامير عبدالله ليستيقظ من غفلته، ويستفيد من اغلاطه، ويرسم خطة قومية وطنية لنفسه». ثم يضيف مقرعاً: «يا قوم ليس الحق على البريطانيين، او على الحكومة البريطانية في عدم الاعتداد بمطالبنا، انما الحق كله علينا، لاننا نسلم شؤوننا الى غير الامناء، الى الباعة والسماسرة، وطلاب الوظائف، فيحتقرهم البريطانيون ويزدرون الامة التي اعتمدتهم»(٣٧).

حملة على الوجهاء والزعماء الفلسطينيين والعرب

لقد وجد نصار ان الخطر الصهيوني يزداد يومياً، ورأى ان هذا الخطر اذا استمر على ما هو عليه فانه سيتهدد، مستقبلاً، العالم العربي. وهذا ما دفعه ليقول انه «انذار مخيف ينذر فلسطين وسوريا والشرق العربي والعراق وسائر البلاد العربيّ بداهيات... بانقراض امة وقيام اخرى»(٣٨).

ورغم هذه التحذيرات من العواقب، استمرت طبقة الوجهاء في الركض وراء المصالح الخاصة على حساب المصلحة الوطنية العامة: «يفيض سيل المهاجرة هذا الفيضان، ويسمعون بآذانهم عن خطر الصهيونية، ويرونه يتحقق بعيونهم، ومع ذلك فلا يؤجرون بيوتهم ومخازنهم لغير الصهيونيين، واذا جاءهم الوطني رفضوه». ويتساءل: «من هم اصحاب الاملاك والمخازن الذين يعبدون طريق الصهيونية»؟ ثم يجيب: «هم رؤساء دوائر الاوقاف الاسلامية والمسيحية. وجهاء المسلمين والمسيحيين واكثرهم من الزعامة والتمثيل عن الشعب. أباعة الاراضي للصهيونية وسماسرة زعماء وطنيّة؟ أمؤجرو البيوت والمخازن للصهيونيين يطالبون بدفع خطر الصهيونية؟.»(٣٩).

ان الحالة تزداد سوءاً، والوضع الاقتصادي بات أردأ مما كان عليه ايام الاتراك، انها سياسة افقار الفلاح لاقتلاعه من ارضه. «منذ الاحتلال وانتاج البلاد من القمح والشعير والقيطاني والسمسم يتناقص، فنحن لا نرى فرقاً عملياً بين ادارة اليوم، وادارة الاتراك، سوى ان الدفوعات في عهد الادارة الحالية زادت، والضرائب ثقلت، والادارة كثر موظفوها ولغاتها ومترجموها ومقيدوها وبوليسها، وكلها تعيش على نفقة الفلاح المثقل العواتق بالديون والضرائب»(٤٠).

كان نصار يخاف من انتقال الارض لليهود، فأخذ يدعو للتمسك بها عل اعتبار انها الثروة الثابتة. «نحن معاشر الفلسطينيين ثروتنا الثابتة في الارض، يجب ان نعيش من نتاجها، فاذا انقلبنا من منتجين الى بياعين وسماسرة ومضاربين فنحن سائرون الى الانقراض. يا رجال الجمعيات والاحزاب لا تهينوا الوطنية بدعواكم الكاذبة.. دعوا الوطنية لاهلها واعملوا لاغراضكم. انكمن نفعيون، ولو لم تكونوا كذلك لكان لوجودكم تأثير»(٤١).